لا تقتدي بالغربيات اللواتي يضارعنَ رجالهنَّ ويسابقنهم في علومهم ومعارفهم

ان العلم للفتاة كالغذاء للجسد وكالزيت للسراج . فهو نور العقل ونبراس الفهم يزيل من طريقنا الجهالة التي كنا من قبل نسير في ظلامها الدامس

فيا ايها الوالدات لا تحرمنَ بناتكنَّ من التعليم لان الجهل يضرّ بهنَّ ويجعلهنَّ في احط الدركات . اني لا انكر ان البيت هو المدرسة الاولية لكن العلم هو المدرسة التتميمية الذي به تسمو المدارك وعليه حسن تدبير المنزل ونظام المعيشة

فعسى ان هذه الكلمات على قلتها يصل صداها لى اخواتي الفتيات فينتصحن بها ولا يمتنعنَ عن الدخول في المدارس اذ هي مهد تتربى فيها العقول وتتغذى منها الافهام بلبان العلم والعرفان بين معلمات حكيمات وصديقات مخلصات

﴿ م . ارمانيوس ﴾
تلميذة بمدرسة الامريكان

﴿ لن يضيع جميل اينما زُرعا ﴾

دقت الساعة التاسعة ذات مساء ولم يعد زوجي الى منزله كعادته فاقلقني ذلك جداً وظليت انتظره على احر من الجمر حتى انتصف الليل فاخذت اعد لنفسي كلمات العتاب التي ساقابله بها واذ ذاك دق جرس الباب ودخل منه وهو باسم الوجه تلوح على وجهه دلائل السرور والهناء وقبلني من جبيني كما كان يعمل كل مساء فانساني بذلك كلمات العتاب و بادلت ابتساماته بابتساماتٍ تحاكيها

ولم يترك لي فرصةً اسأله فيها عن سبب تغيبه بل ابتدأ هو الحديث فقال :

— لقد ازعجتك بتأخيري هذا المساء يا عزيزتي

— نعم خصوصاً وانك لم تعودني التأخير ولم تخبرني انك ستتأخر

— لو كنت اعرف اني سأتأخر لما فاتني ان اقول لكِ ذلك

— واين كنت ؟

— كنت اوفي ديناً كان عليَّ

— دين ؟ ولمن ؟

— للانسانية يا عزيزتي

— وكيف ذلك . زدني ايضاحاً فانا لا افهم هذه الالغاز

— اسمعي يا عزيزتي . لم يمس قلبي السرور اكثر من هذا المساء اذ قدرت ان افي جميلاً كان عليَّ لمن استحق مني الجميل — ليس احلى ولا الذ من الشعور الذي يشعر به اهل المروءة لانهم يشعرون بالسعادة الحقيقية كلما عملوا الجميل . ان السعادة التي شعرت بها هذه الليلة بل من ساعةٍ واحدة لو وزعت على ايامنا لكانت كافية لان تبقينا كلانا في سرورٍ دائم طول حياتنا

كم يسرني اني تلقيت اول درس عن المروءة منذ اثني عشر سنة ومن ذلك التاريخ لم آلُ جهداً في عمل الجميل والقيام بكل ما تطلبه مني المروءة ومع ذلك كنت انسى كل ما اعمل ولم يتعدَ بي شعوري عن حد الارتياح اما هذا المساء فسروري كان عظيماً كما ان تاريخه لن يذهب من مخيلتي ابد الدهر

منذ اثني عشر سنة حصلت على شهادتي الابتدائية وكنت اذ ذاك في الثانية عشر ولم اكن اصلح لاي شيء آخر سوى المدارس الثانوية — فقصدت الاسكندرية وحدي لاول مرة في حياتي بقصد الدخول في المدرسة التجهيزية بها — وكنت قد كتبت الى ابن عمي هناك ان ينتظرني على المحطة اذ كنت معتمداً عليه كل الاعتماد في مهمتي هذه — على اني لما نزلت من القطار لم اجده في انتظاري فكدرني ذلك جداً لاني لم اعرف المدينة من قبل ولا اعرف كيف اهتدي الى منزله

وكان اليوم احداً وجميع المحلات التجارية مقفلة وفي جملتها المحل الذي يشتغل فيه ابن عمي فالتزمت ان ابحث عن منزله واخذت اسأل كل من صادفني وكل يصف لي جهة مخالفة للتي وصفها الذي قبله . كل ذلك وانا اسعى على اقدامي بدون جدوى ولا فائدة

وقد تستغربين اذا قلت لك اني ظليت ابحث عن المنزل حتى الساعة

السادسة مساء وقد وصل بي القطار الساعة الواحدة بعد الظهر فانهكني التعب وآلمني الجوع وقد خيم الظلام على المدينة فتولاني شيء من الخوف لاني اذا لم اجد منزل ابن عمي ارَ اني ملزماً ان ابيت في احدى اللوكندات وانا ارهب ان ابيت وحدي وانا في هذا السن

دخلت الى مطعم اكلت فيه ما سد جوعي ثم عدت فواليت البحث ومع ذلك لم اجد من يرشدني الى ضالتي

وفيما انا اسير رأيت شاباً مؤدباً لطيفاً ففكرت ان اسأل هذا ايضاً فاذا لم استدل منه على شيء سألته عن لوكندة آمن على نفسي ولا اخاف ان ابيت فيها — تقدمت نحوه وسألته عن المكان الذي ابحث عنه فوقف برهةً يفكر ثم اجابني بوجه باشٍ قائلاً

— لو بحثت حتى الصباح عن هذا المكان فلن تجد من يرشدك اليه

فقلت له وما العمل وقد ظهرت عليَّ الحيرة في الحال فقال لي لا تقلق ثم نادى حوذياً ركبنا في عربته وسارت تخترق بنا عدة شوارع سألني في اثنائها عن اسمي وسبب ذهابي الى الاسكندرية واعطاني بطاقة عرفت منها اسمه ومركزه ونزلنا في جهةٍ معلومة ثم اخذنا نسير في طرقاتٍ ضيقة حتى عثرنا اخيراً على المنزل الذي كنا نبحث عنه وهنا اراد مرشدي ان ينصرف فمد لي يده مودعاً واردت ان اقول له كلمة شكر واحدة فانعقد لساني وخنقتني العبرات

فلما رآني كذلك عطف عليَّ وقال لي

لا تقل شيئاً بالله فقد عرفت ماذا تريد ان تقول فحلَّت هذه الجملة عقدة لساني كما انحدرت مدامعي من عينيَّ بغزارةٍ وقلت له وانا ابكي

— قدرك الله على فعل الخير يا سيدي وجازاك عني خيراً ولو كنت اطمع في ان اراكَ بعد اليوم لتمنيت ان يقدرني الله ان اسد ما حملتني هذه الليلة من ديون

فسرّ من ما قلت واجابني

بل يمكنك ان تسد ما عليك وتزيد اذا اردت

ـــ وكيف ذلك يا سيدي ؟

ـــ ذلك ان تعاهد نفسك انك اذا صادفك اي انسان ضل عن طريقه وسألك عنه فارشده وسر معه بدل الميل اثنين ولا تتركه حتى تصل به الى الغاية التي يرمي اليها

فوعدته بذلك وافترقنا ـــ وعرفت فيما بعد ان خطابي لم يصل ابن عمي في ميعاده ولذلك عذرته كل العذر . . . . . .

ومضى على هذا الحادث اثنا عشر سنة كاملة انتهت في اثنائها ايامي المدرسية ووجدت لي عملاً بالقاهرة فاقمت بها

وفيما انا جالس ذات يوم في قهوة اذ رأيت احد اصحابي قادماً عليَّ ومعه رجل لم اعرفه وسألاني عن احد معارفي وقال لي صديقي ان زميله الذي معه غريب ويريد مقابلته هذا المساء لأمر ذي بال

فتذكرت ـــ في الحال ذلك الدين القديم وخفّيت مع الرجل ابحث معه وقد اعتذر صديقي وفارقنا بعد بضع خطوات

اخذنا ننتقل من محل الى محل ومن منزل الى آخر زهاء الساعتين ونحن لا نهتدي اليه ـــ حتى اذا كلّت ارجلنا جلست واياه في احدى القهوات ننظر الى المارة لعلنا نظفر به ولكن طال انتظارنا وملانا الجلوس بدون جدوى وهممت بالانصراف لولا حانت مني التفاتة الى بعيد فاذا بشقيق من نبحث عنه يسير مسرعاً في احدى جانبي الشارع . فناديته وسألته عن اخيه فوعد ان يأتينا به بعد نصف ساعة

فجلسنا ثانيةً وقد استولى علينا السكوت مدة فقطعه زميلي قائلاً

ابن كنت مني هذه الليلة يا سيدي فاكلفك كل هذه المشاق واتعبك معي كل هذا التعب فما كان اغناك عن مقابلتي

ـــ انا لم افعل الاَّ الواجب عليَّ يا سيدي بل انا اسدد ديناً كان عليَّ وعدت ان اسدده

ـ واي دين ؟

ـ دين عليٍّ للانسانية ـ ثم اخذت اقص عليه رحلتي الى الاسكندرية من اولها الى آخرها وشاهدت عليه اذ ذاك ان اشرق جبينه وابتسم محياه وقال لي

ـ وهل تعرف ذلك الرجل الذي ارشدك الى ضالتك اذا قابلته الآن ؟

ـ لا اظن ذلك يا سيدي بعد اثني عشر سنة

ـ ولا اسمه ؟

ـ بل اعرف اسمه جيداً وقد نقشته على صفحات قلبي من وقت ما قرأته على البطاقة الصغيرة التي قدمها لي ونحن في العربة

فمد محدثي يده الى جيبه وهو يتبسم واخرج منها بطاقة ناولني اياها وقال

ـ هل قرأت ذلك الاسم قبل الآن ؟

فما نظرت الى البطاقة حتى صحت مندهشاً

ـ هوذا انت يا سيدي ! ثم قمت وصافحته وقلبي يكاد يطفح من شدة الفرح حتى كدت ابكي واستأنفت الحديث فقلت له

ـ كم يسرني انك عرفت بعد اثني عشر سنة اني حافظ عهدي معك واني اوفي الدين الذي عليَّ بامانةٍ واخلاص

ولم اصل الى هنا حتى وافى صديقي الذي نبحث عنه وانقطع سياق الحديث ورأيت ان اتركهما ليخلوا لبعضهما وارجع اليكِ

وتركتهما على وعد ان نلتقي هنا غداً على مائدة الغذاء ـ فهلا سامحتيني وعذرتيني على تأخيري هذه الليلة يا عزيزتي؟

ـ انا لم اعيقك عن القيام بما تفرضه عليك الانسانية من عمل الجميل والمروءة بل اساعدك واعضدك واذا سنحت لي الفرص قلدتك يا عزيزي

وبتنا مسرورين مغتبطين ولو كنا كسبنا العالم كله لما كانت سعادتنا اوفر مما كانت عليه تلك الليلة

مدام ف . ع